

« اللغة سلاح ناعم ! »

بقلم: د. مشيرة عنيزات

سحر تلك اللغة»، مع أننا لا نحتاج إليهم ليمدحوا لغتنا؛ فلقد رأيناها تمتطي جوادها، وتنتشر عبرها شرقاً وغرباً.

ويقول طلال أبوغزاله: «لا بأس أن نمرّ بعصر انحطاطٍ للغة.. وهذا يجري على اللغات العالمية كلها، وعلى دول العالم أن تُسوّق اقتصادها ونجاحها من خلال تسويقها للغتها.. وهذا عمل وطني؛ إذ إن اللغة سلاحٌ ناعم».

فبالرغم من جمال لغتنا العربية، وحلاوة منطقتها، وفصاحة محتواها، وتطويعها للعلوم ولعدة قرون فاقت الثمانمائة؛ يوم كان العالم كله يؤلف العلوم بألفاظها، والجامعات تدرس أصواتها.. -إلا أن قيمتها بين الأمم اليوم تراجعت، وليس السبب في كونها لا تجاري المستحدثات، ولا في كونها صعبة المراس! فتلك أخطاء تُرتكب في حقها..؛ ولقد أن الأوان لتسويق اللغة العربية، وهو عملٌ وطني؛ سيساهم في تشبثنا في جذورنا، وسيبقينا أقرب من أمتنا وعروبتنا، وسياخذنا حيث الأيام الخوالد في ذاكرتنا يوم كان العالمُ عربيًّا، وكان العلمُ عربيًّا، وكانت الحكاياتُ والقصصُ والموسيقا والمخترعاتُ وأدواتُ الحكمةِ والمعرفةِ عربيةً.

العربية لا خلل فيها، أو تشويه، وهي السبيل الوحيد لتوحيد عقول العرب، واتحاد أذواقهم، وتلاقح أفكارهم، واستمطار ما يليق بلغة قرآنهم الكريم. إنها الأصالة..

وحيث هي تكون فإننا سنكون، وعلينا الحفاظ عليها كي تستقيم لنا الحياة؛ لأنها مصدر فخر، ومجد وعز، وانتماء، وإن احتفاظ صدورنا بها إلى اليوم، رغم كل حربٍ ضدها، معجزة.. ولن تموت العربية، ولن يموت أهلها ما دمنا نبادلها الاعتراز والحب.

« نحن قومٌ تؤنسنا اللغة؛ فكأما سقمُ الحالِ اعتلينا صهوة قصيدة..»

وإن المتعمق لجمال اللغة العربية، يزداد حباً إلى اللغات الأخرى، فهل تحسّ بتناغم حروفها، وتقارب أصواتها، وانسجام أركانها، إنها السلاح الناعم لمن يتقن جمالها ويستشعره..

إنها ليست حروفاً صماء! ولا كلاماً مُبعثراً يتم ترتيبه لغايات التواصل فقط، بل هي أداة فكر وتفكير، وعبرة وتعبير، وأساس بناء الحضارة، ووسيلة للتواصل والتناغم قبل الاتصال والتودد..

إننا في اليوم العالمي للغة العربية، نسترجع أصلاً من أصول الهوية، ودرعاً حديدياً يحمينا ويدفع عنّا! ويقول الأديب الألماني (غوته): «ربّما لم يحدث في أي لغة هذا القدر من الانسجام بين الروح والكلمة والخط، مثلما حدث في اللغة العربية..»

وإن المتأمل والمتعمق في قول الحلاج التالي:

«يا مُسكّني وسكّني وسكّيني وساكنتي
وسكوني وسكوتي وسكّتي وسكّرتي وسكّرتي
وسرّي وسريرتي وسريري وسروري.»

يتلمس سحر اللفظ العربي وفرادة أصواته، وبلاغة معانيه! ومنطقه القويم، وعناصره المترابطة.. التي تجذبك حيث الأعماق.. لترتشف حلاوة، لم تذق بطعمها قط!

إليك يا من تنتشق بالمظاهر، وإليك يا من ترسم حولك الهالات المزيّفة.. إليك وإلى من هم أمثالك أقول: «استمع إلى المستشرقة والكاتبة الألمانية (سيغريد هونكه) وهي تقول: «فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى